الشيخ محمد بن عمر الهواري وانتقال التصوف لبلاد المغرب

Sheikh Muhammad bin Omar Al-Hawari and the transmission of Sufism to the countries of the Maghreb

جيجيك زروق*

جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية (الجزائر)،

ملخص:

بدأ التصوف الإسلامي في بلاد المغرب في عهد الدولة المرابطية نتيجة احتكاك المغاربة بالمشارقة خلال رحلات الحج والعلم. إلا أنّه عرف انتشارا واسعا في عهد الدولة الموحدية ولم يؤدي هذا الانتشار الواسع للتصوف في الأوساط الشعبية إلى صراع بين الفقهاء والمتصوفة وإنما ساد التسامح والتعايش لتمسكهم بتعاليم الدين الإسلامي الخالي من صفات الشرك والزندقة. ظهر في بداية الأمر على شكل رباطات، التي أنشأت لحماية الثغور الإسلامية من هجمات النصارى فسرعان ما تطور دورها فأصبحوا يتعبدون فيها ويمارسون رياضات روحية، فكانت بمثابة مدارس دينية وتحولت إلى معاهد وزوايا يتخرج منها العلماء، الفقهاء ويقصدها الطلبة للتعلم.

الكلمات المفتاحية: العلماء ؛ التصوف ؛ الرباطات ؛ المغرب، المشرق

Abstract:

Islamic Sufism began in the Maghreb during the reign of the Almoravid dynasty, as a result of Moroccans' contact with the Maghreb during pilgrimages and learning. However, it was known widely during the era of the monotheistic state. This widespread spread of Sufism in popular circles did not lead to a conflict between jurists and Sufis, but tolerance and coexistence prevailed because of their adherence to the teachings of the Islamic religion devoid of the attributes of polytheism and heresy. It

*المؤلف المرسل

appeared at the beginning in the form of ribat, which was established to protect the Islamic frontiers from the attacks of the Christians. Soon, their role evolved and became worshiped in them and practiced spiritual sports.

مقدمة:

اختلفت المصادر الصوفية والتاريخية حول المفهوم الحقيقي لكلمة "صوفي" نتيجة خلوها من الاشتقاق اللغوي، إلا أنّ هناك من حاول استقصاء بعض المعاني، لذا سنحاول إلقاء الضوء على بعض التعاريف.

– مفاهيم لغوية عن التصوف:

يُنسب الصوفية إلى الصّف الأول وهم بين يدي الله عز وجلّ بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه[1]، قيل لتواجدهم في الصّف الأول من الصلاة لقربهم وتقربهم من الله.[2]

يقول الكلاباذي[3] إنما سُميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها.[4]قيل إنها مشتقة من "صوفة القفا" وهي الشعرات النابتة في مؤخرة الرأس إشارة إلى اتصاف الصوفي بأنه "لين وهين"، موطأ الأكناف، متواضع كالأرض وهي إشارة لانعطافهم لجناب الحق تبارك وتعالى[5]، منهم من ردها إلى اشتقاق أجنبي اللفظ من كلمة "جمنوسوفت" (Gymnosophst) التي تعني الحكيم العاري وهو لفظ يوناني يشير إلى الحكماء العراة من الهنود[6].منهم من نسبها إلى كلمة "صوفة" وهو اسم رجل تفرغ للعبادة في بيت الله الحرام يطلق عليه "الغوث بن مر" الذي يُكنّى "بصوفة" كون أمه نذرت في ولادته إن عاش لتُعلقن في رأسه صوفة فمن تشبه به في العكوف والعبادة أصبح صوفي[7] فهو صافي وصوفي وسُمي بالصوفي فعليه وجب تسمية السالك بذلك لصفاء قلبه وطهارة باطنه وظاهره عن مخالفة ربه[8] قيل أنها مشتقة من " الصفة" أو صفة المسجد وهو مكان في مؤخرة مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يجلس فيه فقراء وزهاد ومتعبدي المسلمين[9]، ومنهم من نسبه إلى "صوفة "وهم قوم من العرب أيام الجاهلية اجتمعوا وتشبكوا كما يتشبك الصوف فأُطلق عليهم اسم صوفة.[10]

يري صاحب كتاب اللّمع أن الأصل في الكلمة هي "صفوي" فاستُثقل ذلك وقيل "صوفي" لم يرد اسم الصوفية في القرآن الكريم ولا في عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في التابعين، أما قول القائل برده إلى اسم محدث أحدثه البغداديون فهذا محال لأنه قبل الإسلام في زمن الجاهلية كان يأتي رجل من مكان بعيد يطوف بالكعبة ويطلق عليه صوفي.[11]

فيري القشيري[12] أن التصوف لم يشهد له اشتقاق في اللغة العربية ولا قياس والأظهر فيه أنه لقب. فأما القول فيه كالصوف ولهذا يقال إذا لبس الصوف فذلك وجه، أمّا مرده إلى صفة المسجد فهي لا تصح على نحو الصوفي. أمّا مرده إلى الصفاء فهو بعيد عن مقتضى اللغة. أمّا القول بأنه مشتق من الصّف الأول بقلوبهم فالمعني صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف.[13]

سُئل ابن تيمية عن لفظ الصوفية فنفى كل التعريفات والاشتقاقات السابقة من الصفاء الصَفة، الصف وأهل الصَفة وأن الاسم الأقرب للصوفي هو " الصوف" نسبة إلى لبس الصوف وكان في البصرة مبالغة في الزهد والعبادة والخوف ما لم يكن في سائر الأمصار[14] الا أنّه وقف عند اشتقاق كلمة صوفي أنها من أسماء النسب كالقرشي والمدني.[15] هذا الاختلاف الحاصل في اشتقاقه رده الهجويري إلى أن اشتقاق هذا الاسم لا يصح من مقتضى اللغة في أي معنى، لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليَشتق منه.[16]

مفاهيم اصطلاحية للتصوف: التصوف حياة روحية خاصة والصوفي من حيث كونه انسانا يحيا هذه الحياة، فقيل الصوفي من اختار الحق لنفسه فصافاه عن نفسه أي برّأه، لم يرده إلى تعمّل وتكلف بدعوى منه، فصوفي على زنة عوفي، أي عافاه الله فعوفي وكُوفي أي كافاه بمعني جازاه الله.[17]قول 'الجنيد' في التصوف أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة.[18]قيل التصوف هو حب الله المطلق والشعور بذوقه والخوف منه والصبر على ابتلائه.[19]

يقول سهل بن عبد الله التستري[20]"إن الصوفي هو من يرى دمه هدرا، وملكه مباحا والنقي من الكدر، وامتلئ من الفكرة وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده المدح والمدر" يقول " أن تجري على الصوفي أعمال لا يعلمها إلا الحق وأن يكون دائما مع الحق على حال لا يعلمها إلا هو.[21]

فالتصوف اسم لثلاثة معان وهو الذي لا يطفئ نور معرفته ونور روعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله. قال القاضي أبو يحيا زكريا الأنصاري "التصوف هو ترك الاختيار، ويقال: هو حفظ حواسك ومراعاة أنفاسك، ويقال هو الجِد في السلوك إلى ملك الملوك وهو الكباب على العمل والإعراض عن العِلل.[22]

قال الكلاباذي "أن الصوفي لا يَملك ولا يُملك أي لا يسترقه الطمع". وقيل هو الذي لا يملك شيئا وإن ملكه بذله. من لِبسِهِم وزِيهم سموا صوفية لأنهم لم يلبسوا حظوظ النفس مَالاَن مسه وحسن منظره وإنما لبسوا لسترة العورة، فتحروا بالخشن من الشَعَر والغليظ من الصوف، فأكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وكلامهم كلام الخرقى.[23]

قال الطوسي في مؤلفه اللّمع الصوفية هم القائمون بعقولهم على همومهم والعاكفون عليها بقلوبهم، المعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هُمُ الصوفية. وقيل للشيخ: إذا قيل لك من هم الصوفية في الحقيقة صِفهم لنا؟ فقال: هُم العلماء بالله وبأحكامه، العاملون بما علّمهم الله تعالى المتحققون بما استعملهم الله عزّ وجلّ، الواجدون بما تحققوا، الفانون بما وجدوا، لأن كل واحد قد فنى بما وجد[24]،أما ابن خلدون فيقول عن التصوف" هذا العلم من العلوم الشرعية الحديثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقه الحق والهداية وأصلها العكوف عن العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرفة الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من مال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثالث وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا واختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية"[25]،يرى أيضا في موضع آخر أن التصوف هو رعاية الأدب في البواطن والظواهر، ثم لما أقبلوا على مراعاة بواطنهم وتوغلوا في تخليص قلوبهم وحفظ أسرارهم وحصلت فيهم التصفية فأشرقت فيه أنوار العلم الإلهامي وأنه ناشئ عن التصفية فارتفع.[26]فالصوفي هو الذي لا يرى أي شيء في العالمين الا الله تعالى وينظر في الله تعالى.[27]

يرى أبو حامد الغزّالي[28] أن التصوف طريقتهم إما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاته الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكره وكان العلم عليَ أيسر من العمل.[29]

خلاصة القول عن ونهج التصوف في منظور الإسلام فقد جمعها سراج الدين في قوله:

لَيْسَ التَصَوْف حِيلَةً وَبَطَالَةً وَجَهَالَةً وَدَعَابَةً بِمُزَاحِ

بَلْ عِفَةٌ وَفُتُوَةٌ وَمُرُوَاه وَزَهَادَةٌ وَطَهَارَةٌ بِصَلاَحِ

وَتَيَقُّنٌ وَتَصَبُّرٌ وَتَوَكُلٌ وَتَذَلُّلٌ وَتَكَرُّمٌ بِسَمَاحِ

فَإِلَى الرَّشَادِ قَدُورَةٌ وَرَوَاحَة وَإِلَى الصَّلاَحِ مَسَاؤُهْ بِصَبَاحِ[30].

انتقال التصوف لبلاد المغرب وانتشاره:

1- انتقاله من المشرق إلى المغرب: بدأ التصوف الإسلامي في بلاد المغرب في عهد الدولة المرابطية نتيجة احتكاك المغاربة بالمشارقة خلال رحلات الحج والعلم. إلا أنّه عرف انتشارا واسعا في عهد الدولة الموحدية ولم يؤدي هذا الانتشار الواسع للتصوف في الأوساط الشعبية إلى صراع بين الفقهاء والمتصوفة وإنما ساد التسامح والتعايش لتمسكهم بتعاليم الدين الإسلامي الخالي من صفات الشرك والزندقة.

ظهر في بداية الأمر على شكل رباطات، التي أنشأت لحماية الثغور الإسلامية من هجمات النصارى فسرعان ما تطور دورها فأصبحوا يتعبدون فيها ويمارسون رياضات روحية. فكانت بمثابة مدارس دينية وتحولت إلى معاهد وزوايا يتخرج منها العلماء، الفقهاء ويقصدها الطلبة للتعلم.

فيري الغبريني إن انتقال التصوف لبلاد المغرب كان على يد ابن عربي.[31] قد عرف انتشارا واسعا بمدينة القيروان موازاة مع تواجد المذهب المالكي المنتشر بقوة في المنطقة ومن أعلامه في هذه الفترة ابن مسرة.

أمّا في القرن السابع والثامن فقد برزت أسماء كثيرة لا يمكن حصرها فذكرها أبو العباس الغبريني في مؤلفه "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ونجد كذلك ابن مريم التلمساني في كتابه "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. فهاته الكتب دليل على الانتشار الواسع للتصوف وكثرة المتصوفة.[32]

أمّا في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) فيعتبر الشيخ أبو مدين الغوث من الأوائل الذين نشروا التصوف السني ومن أقطابه أيضا نذكر على المثال لا الحصر: عبد الرحمان الثعالبي، أحمد بن عبد الله الزواوي، أحمد زروق. يوسف المليانى...

2 – أسباب وعوامل انتشاره:

أ – أسباب فكرية: أن بعض متصوفة المشرق يفدون إلى بلاد المغرب ونشر فكرهم، فقد جاء إلى افريقية ذو النون الإخميني المصري الصوفي الأشهر وأخذ عن الفقيه شقران الذي يكون قد بث فيه أرائه في المجتمع المغاربي، جاء أيضا أبو عبد الله الصبيحي البصري الذي يضعه السلمي صاحب كتاب "الطبقات الصوفية" في الطبقة الثالثة من المتصوفة فقد أخرج من البصرة واتجه إلى بلاد المغرب.[33]

تأثر علماء بلاد المغرب الإسلامي بالتصوف المشرقي ما جعلهم في اتصال دائم بهم وعلى رأسهم أبو مدين الغوث وعبد الرحمان الجيلاني وأنهم زاروا المشرق وأخذوا عنهم التصوف فنجد أبا زكريا السطيفي، ابراهيم بن ميمون الوجهاني، عمر الهواري...

. انتشار المؤلفات الصوفية وتدريسها فكان أبو مدين الغوث يُدرس المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الإمام السنوسي اختصار كتاب الرعاية للحارث بن أسد المحاسبي.[34]

ب – أسباب سياسية: عرف بلاد المغرب الإسلامي اضطرابات سياسية وصراعات داخلية وخارجية فالصراع الداخلي متمثل في الدويلات الثلاثة المرينية في المغرب الأقصى والزيانية بالمغرب الأوسط والحفصية بالمغرب الأدنى،أما الصراع الخارجي متمثل في الهجمات الأجنبية الصليبية على السواحل المغاربية من طرف الإسبان والبرتغاليين.[35]

أثّرت الأوضاع السياسية في القرنين الثاني والثالث في تصعيد نزعة الزهد وصولا إلى التصوف إلا أن الصراع بين الدول المستقلة في فاس، سجلماسة، تيهرت، الأغالبة بسبب الخلافات الدينية والمذهبية لجأت كل واحدة منهم إلى الاعتماد على المتصوفة والأخذ بآرائهم فبهذا وجد المغاربة الطمأنينة والاستقرار في التصوف والمتصوفة مما أدى بهم إلى الاهتمام به والاقتداء بهم.[36]

. سقوط الأندلس فأدى بهجرة الكثير من العلماء والمتصوفة إلى بلدان المغرب الإسلامي ومن بينها المغرب الاوسط وخاصة بجاية وتلمسان.[37]

ج – أسباب اجتماعية:– انتشار البذخ والترف نتيجة الثراء الفاحش الذي ميز فقهاء بلاط المرابطين ممّا أثر سلبا على الطبقة الشعبية هذا ما ولّد شريحة فقراء في المجتمع ولم تجد إلا في الصوفية ملاذا لها لعدم معالجة الدولة للأوضاع المعيشية المزرية.

. ابتعاد الناس عن تعاليم الإسلام ونقص الوازع الديني وتراجع القيم الأخلاقية والدينية فقد قوّم الصوفية انحرافات المجتمع هذا ما زاد من انتشارهم وكسب ودّ الناس فانخرط النّاس في الزوايا والرباطات.[38]

من أقطاب التصوف بالجزائر

الشيخ محمد بن عمر الهواري:(751-843هـ /1350-1439م).

نسبه: هو القطب العالم بالله، الفقيه، الزاهد التقي، العابد المتصوف المشهور بـ محمد بن عمر المغراوي الهواري نسبة إلى قبيلة هوارة في أحواز كلمتيو على بعد 20 كم شرق مدينة مستغانم. فعرف بلقبه الهواري نسبة إلى أصله وانتمائه إلى قبيلة هوارة البربرية[39]،أما عن نسبه فلم تتطرق إليه مختلف المصادر[40] بل اكتفت فقط بترجمة اسم الشهرة دون الرجوع إلى ذكر نسبه الكامل، إلا هناك من تطرق إلى النسب الكامل، فاختلفت هاته الكتابات الصوفية والتاريخية، فيرده صاحب "كتاب دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" إلى سيدي محمد بن أعمر بن عثمان بن عياشة بن عكاشة بن سيد الناس بن أحمد بن محمد بن علي ابن الأمير أمغار بن أبي عيسي بن محمد بن موسى بن سليمان بن

موسى بن محمد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.[41]

أما ابن صعد التلمساني صاحب كتاب "روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعين المتأخرين فيرده إلى نفس النسب إلا أنه يختلف عنه في مسألة النسب الشريف فهذانسبه إلى سيدي محمد بن عمر بن عثمان بن سبع بن عياشة بن عكاشة بن سيد الناس بن خير الناس الغيارى المغراوي.[42]

تعلمه:

سلك في بداية طريقه منهج الزهاد والمتصوفة، فانتقل إلى كليمتو، بعدما أن حفظ القران الكريم بمسقط رأسه في سن العاشرة من عمره، تعرف على شيخ طريقة صوفية فأخذ منه العلم والتصوف ولازمه مدة من الزمن حتى أخذ عنه طريقته ومسلكه وكعادة الصوفية فإنهم كثيري السفر، التنقل والترحال لأخذ العلم والتزهد عن أمور الدنيا فتنقل بين الصحاري والقوافي[43]، استقر ببجاية فدرس على يد شيوخ أجلاء منهم أحمد بن إدريس وعبد الرحمان الوغليسي[44]،عبد الرحمان بن خلدون، أخيه يحي بن خلدون، أثنى على سكان بجاية لمحبتهم للغرباء والفقراء ومحافظتهم في معاملاتهم على الحلال[45] فأخذ مختلف العلوم النقلية والعقلية المنتشرة، لما تشهده بجاية من تطور فكر حضاري إذ تعد منارة من منارات العلم ببلاد المغرب الاسلامي فبعد أن أتم العلم عن شيوخ هذه البلدة، فمن بين الدروس التي أتمها في بجاية "درس المدونة" البرادعية وفي هذه المدينة أتم كتابه السهو والتنبيه في أحكام الطهارة والصلاة ونظم قصيدته التي سماها التسهيل[46] ولم تذكر المصادر مدة مكوثه في بجاية.

رحلة الطالب محمد بن عمر الهواري ببلاد المغرب

وكعادة الطلبة والمتصوفة تعد الرحلة العلمية شرطا لأخذ العلم والتقرب إلى الله فانتقل إلى فاس والتي تعد من أكبر الحواضر العلمية والتي تُدرس بها مناهج علمية متطورة فهي عبارة عن معاهد عليا، للتعلم على يد علمائها منهم الشيخ القباب وموسى العبدوسي[47]فحفظ المدونة في فقه المالكية بفاس عام 776هجري، وهو ابن الخمسة والعشرين فتذكر العديد من المصادر أنه أتم مؤلفه في فاس إلا أن الباحث

يحي بوعزيز يري أن المقصود من ذلك هو تنقيحه في فاس وإدخال بعض التعديلات عليه بينما تدوينه كان ببجاية.[48]

استطاع العالم سيدي محمد الهواري من تصدر مجلس التدريس وهو لا يزال طالبا شابا فأصبح يُدرس الطلبة القرآن الكريم والفقه واللغة العربية فهذا يدل على عمق معارفه اللغوية والدينية لأن تَصدر مجلس التدريس في فاس لا يكون إلا بإجازة من كبار العلماء باعتبارها حاضرة تستقطب خيرة العلماء والطلبة من مختلف الأمصار، إلا أن هدف ومبتغى الشيخ لازال بعيدا فقرر السفر والتنقل إلى المشرق لأداء مناسك الحج والمرور على مختلف المراكز العلمية منها الأزهر الشريف ومكة المكرمة والمدينة المنورة.

رحلة العالم محمد عمر الهواري إلى المشرق

المحطة الأولى مصر

ما ميز المتصوفة والزهاد والعلماء المغاربة هو ارتيادهم لركب الحج فلا نجد متصوفا لم يؤد فريضة الحج، فهنا تتداخل العديد من الفوائد من الرحلة الحجازية فنجدها من أجل كسب المعارف والعلوم بمختلف الأمصار وتلقى العلوم على مختلف العلماء ومن مختلف المذاهب وزيارة الأماكن المقدسة والاستزادة من الكتب والمخطوطات رغبة في التواصل الثقافي والحضاري بين المشرق والمغرب الإسلامي، فنجد الشيخ محمد الهواري بدأ رحلته من مصر والتي تعد المحطة العلمية الأولى فتتعلم على يد الشيخ الجليل الحافظ العراقي وأقام مدة بالأزهر للقراءة والإقراء.[49]

المحطة الثانية الحجاز

انتقل إلى مكة المكرمة وأقام برباط الفتح[50]، فلم تذكر المصادر التاريخية مدة مكوثه وعن اتصاله بعلماء مكة والمدينة فيمكن اعتبارها رحلة سياحية مزاريه فزار مختلف الأماكن المقدسة منها مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة، يلقي في الحرم المكي دروسا للخاصّة وللعامّة. فالتفَّ حوله عدد من طلبة

العلم الذين يبحثون عن العلماء الغرباء الوافدين من أقطار العالم الإسلامي ليأخذوا عنهم معارفهم ومناهج تعليمهم في العلوم المختلفة، إن الإمام قد اغتنم فرصة وجوده في مكة ليلتقي بعلمائها. فحاورهم وحاوروه، وأخذ عنهم، وأخذوا عنه.[51] فهنا تسكت المصادر التاريخية هل أخذ العلم على شيوخ المدينة أم لا؟

منها انتقل إلى فلسطين فزار المسجد الأقصى وقبة الصخرة وقبر الخليل إبراهيم عليه السلام وجال ببلاد الشام ويأوي إلى جامع بني أمية وتأوي إليه السباع والوحوش المفترسة[52]، فاغتنم الفرصة في الشام فدرّس تاريخ المغرب وحضارته لطلبة المشرق الذين يتعطشون لعلماء المغرب والحديث عن حضارة الأندلس وعلماء المغرب والمؤسسات الثقافية المنتشرة، وكثيرا ما طغى على نفسيته روح الزهد والتصوف فكان يخرج للقفار والصحاري متعبدا متبتلا زاهدا.[53]

أصبح الشيخ محمد الهواري سفير بلاد المغرب في المشرق فتطلع على علوم المغرب في بجاية وفاس واستزاد في مصر وأتمها في الحجاز متنقلا بين الأمصار تارة طالبا ومرة أخرى مُدرسا فمزج بين الثقافات وتضلع في العلوم فاستفاد وأفاد وعرّف بعلماء المغرب في المشرق وكذا بمؤلفات المغاربة ومؤلفاته الخاصة في حلقات الدرس والذكر.

بعد هذه الرحلة الطويلة والشاقة والتي لم يدونها صاحبها مثلما يفعل معظم الرحالة، فهذا ما جع ترجمة وسيرة العالم ورحلته العلمية وما قام بها تبقى مبتورة في كثير من الأحداث لغياب النصوص التي تحدثت عنها، فعاد إلى مسقط رأسه مدينة وهران. فقد اهتم الشيخ بالعلم وسعى إلى البحث والمطالعة والدراسة ومن بعدها تفرغ للتدريس والتعليم بمختلف المناطق التي زارها إلى أن استقر بوهران وبنى زاوية وأصبحت مركزا إشعاعا علميا يسعى الطلبة من كل حدب وصوب فهذه هي ميزة العلماء.

كراماته ومآثره

من مآثر الشيخ محمد الهواري أنه كان زاهدا في حياته مكتفيا بالقليل متواضعا في ملبسه ومأكله فكان يقتات من القليل متمسكا بأصول التصوف السني بعيدا عن الشطحات الصوفية التي تمارسها بعضا من الفرق التي تنسب نفسها للتصوف وهي بعيدة كل البعد عن الوجه الحقيقي للتصوف.

فكانت له كرامات عديدة منها أن بعض طغاة الأعراب أخذ مال بعض أصحابه فبعث إليه الشيخ ليرد ذلك المال فاخذ رسوله وقيده فبلغ الشيخ أمره فقام من مجلسه وقد اسود وجهه من شدة الغضب ودخل خلوته، فقال تلميذه التازي فسمعته يقول: "مفرطح مفرطح" يكرر مرارا، في وقته قام الظالم يلعب في عرس والناس ينظرون إليه، فإذا برجل أبيض الثياب نزعه من فوق الفرس وضرب به الأرض فإذا هو مفرطح دخل رأسه في جوفه من شدة ضربه منكسا ،فأطلقت أمه رسول الشيخ وقالت تخاطب ولدها الميت يا ولدي حذرتك دعوة الشيخ فأبيت فلا حيلة فيك اليوم.[54]"

ومرة، أنه لما أرسل سيدي سليمان في رسالة إلى سيدي الهواري عن طريق رسوله ولكن ظن سيدي سليمان أن رسوله لا يفهم جوابه مما اضطر إلى التنقل أيضا، ولما وصل المبعوث إلى سيدي بومدين قدم له الرسالة فقال له: "هل أنت من حمل الرسالة أم غيرك. فتعجب الرسول من السؤال وأعاد السؤال مرة ثانية وهو يتكلم فدخل سيدي سليمان فتحير الرسول من سيدي الهواري أنه أدرك أن سيدي سليمان سيأتي وفي نيته حمل الرسالة أيضا.[55]

ومن الكرامات التي تداولتها الكتب التاريخية المحلية والغربية أن احتلال مدينة وهران كان نتيجة دعوة الإمام بسبب الظلم الذي لاقاه ابنه سيدي أحمد الهائج بعد مقتله وادعوا أنه هائج عليهم بغير حق سمع بذلك الشيخ وكظم غيضه وسكت إلا أن زوجته أصرت على أخذ الثأر والقصاص من المعتدي فلم يعبي للأمر ،فقامت زوجته فأخذت فلوسا عند دجاجة فجاءت الدجاجة تضاربها لتخلص الفلوس، فقالت للشيخ الدجاجة تغير على فلوسه فكيف أنت لا تغير على ولدك فقام وطلب القصاص منهم، فطالبهم عن السبب الذي جعلهم يقدمون على قتله فقالوا أنه ارتكب ذنبا وثبت عليه قتلته الشريعة فقال لهم الشيخ ومن حكم بقتله من ساداتنا العلماء؟ فقالوا لا نحتاج في ذلك إلى حكم حاكم وإنما رأينا الشريعة قتلته فقتلناه، فقال لهم أنتم قتلتم بزعمكم أن الشريعة قتلت ولدي الهواري، وأن الهواري لا يجوز ولده لعدم تحقيق دعواكم وإن كان قولكم في الظاهر مقبول ففي الباطن ولدي ناج وكلامكم محلول.

فسلمها رضي الله عنه للنصارى فدعي "روحي يا وهران الفاسقة يا كثيرة الجور والبغي والطارقة، يا ذات الأهل الباغية السارقة، إني بعتك بيعة موافقة للنصارى (مالقة) و(جالقة) إلى يوم البعث والتالقة،

مهما ترجعي فأنت طالقة"، فقال له بعض تلامذته الحاضرين في دعوته: يا سيدي والفرج لاحقه فقال الشيخ: والفرج لاحقه"[56]

مؤلفاته وتلاميذه

كرّس الشيخ حياته للتلقين والتدريس في مختلف الأمصار مشارق الأرض ومغاربها فكيف لا يكون له طلبة وهو صاحب زاوية فقد تخرج على يده وأخذ من علمه العديد من الطلبة وأصبحوا علماء مثله فكثيرا ما يجتهد الطالب لينافس معلمه فهذا ما نجده عند طلبة الشيخ الهواري منهم الشيخ إبراهيم التازي، الشيخ أبركان المزيلي، الشيخ بختي،الشيخ الطاهر بن الشيخ المشرفي،الشيخ عبد الرحمن مقلاش وآخرون.

أماعن مؤلفاته نجد كتاب "السهو" كتاب "التّنبيه، تبصرة السائل وثلاثة منظومات في التصوف، فقد كثر الحديث عن تدوينه بالعامية ولم يستعمل قواعد اللغة العربية من قافية ووزن...فهل يمكن ذلك إرجاعه إلى عدم إتقانه للغة هذا ما دفع بتلميذه مقلاش بكتابة الكتاب باللغة الفصحى؟ كيف يمكن لعالم صال المشرق والمغرب وأخذ من العلوم كلها باللغة وتمرس على اللغة العربية وحفظ القران في سن العاشرة ودرّس في مختلف المعاهد العليا وبمختلف الأمصار؟ إن شخصية العالم متواضع وقريب من العالم ورغبة منه في التواضع وتقريب المعنى من العامة جعله بالعامية ليسهل تدريسه واستيعابه.

كانت وفاته صبيحة يوم السبت الثاني من شهر ربيع الثاني من عام 843هـ عن عمر ناهز اثنين وتسعين سنة[57] رحم الله العالم الجليل.

الهوامش

1Bel(A). L'islam mystique. Rev.Af.V.68. (1927). P338.,-

2- السهروردي شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد، عوارف المعارف. مجلد 5، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ص 23

3-هو أبو بكر محمد بن اسحاق الحنفي البحاري الكلاباذي، يطلق عليه "تاج الاسلام" لعلمه وفضله وهو من علماء الصوفية فبمؤلفه "التعرف لمذهب أهل التصوف عرف التصوف. ينظر إلى الحنفي عبد المنعم،الموسوعة الصوفية أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية،ط1، دار الرشاد، القاهرة، مصر، 1992، ص 388.

4- الكلاباذي أبو بكر محمد بن اسحاق. التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبط وعلق عليه أحمد شمس الدين،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1993، ص 09.

5- المهدلي محمد عقيل بن علي، مدخل إلى التصوف الاسلامي،ط2، دار الحديث.القاهرة،1988.ص55.

6-تركي ابراهيم محمد، التصوف الاسلامي أصوله وتطوراته،ط1، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر،2007، ص25

7- الجوزي أبي الفرج عبد الرحمان، تلبيسابليس، دار ابن خلدون، الاسكندرية. مصر. (د.س). ص.163.

8-Arnaud. (M), Étude Sur Le Soufisme Par Le Cheikh Abd-El-Hadi Ben Ridouane, Rev. AF. V.31 .1887. P.353.

9- خميسي ساعد، أبحاث في الفلسفة الاسلامية، دار الهدى، ال جزائر2002، ص 22.

10-التادلي أبي يعقوب يوسف، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية 1997، ص 34.

11-الطوسي ابي نصر السراج، اللمع، حققه عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديث بمصر، مكتبة المثني ببغداد، 1960، ص ص 46-42.

12- هو عبد الكريم بن هوازن القشيري وكنيته ابا القاسم ولقبه زين الإسلام وشهرته القشيري ولد عام 376هـ بنيسابور، عالم اخذ مكانته من بين كبار المتصوفة له مؤلفات كثيرة ومن أشهرها "الرسالة القشيرية" التي تعد مصدرا هاما في التصوف. توفي عام 465هـ.

13-القشيري ابي القاسم عبد الكريم، الرسالة القشيرية، تح عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، ج02، دار المعارف، القاهرة، (د س)، ص .440

14- ابن تيمية أحمد، فقه التصوف، تع الشيخ زهير شفيق الكبي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 1993،ص 12.

15- ابن تيمية أحمد، الصوفية والفقراء، تق محمد جميل غازي، دار المدني، مصر، (د.س) ص 13.

16- تومي عبد القادر، التصوف والمجتمع قراءة في الابعاد الاجتماعية للتصوف. مجلة الخطاب الصوفي، ع 03، جامعة الجزائر، دار هومه،الجزائر 2010،ص .155

17- إلهي ظهير احسان، التصوف المنشأ والمصادر،ط1،ادارة ترجمان السنة،باكستان 1986،ص 24.

18-بدوي عبد الرحمان، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني،ط2،وكالة المطبوعات، الكويت 1978،ص07.

19 -Annemarie (Shimail), le soufisme ou les dimensions mystiques de l'islam, traduit enfrançais Albert(van hoa) éd du carf,Paris,1996, P.18.

20- هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري نسبة إلى تستر من خوزستان. وله طريقة تسمي السهلية والتي تقوم على مجاهدة النفس.اختلف في سنة وفاته والأرجح 283هـ.ينظر:السلمي عبد الرحمان، الطبقات الصوفية، تح أحمد الشرباصي،ط2، مؤسسة دار الشعب،مصر، 1998، ص .66

21-حريزي موسى إبراهيم، تحليل مضمون عينة من التعاريف ومفاهيم التصوف في الإسلام، مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، ع13، جامعة الجزائر2009،ص 79.

22- الورثيلاني الحسين بن محمد،الكواكب العرفانية وشوارق الانسية في شرح الفاظ القدسية،تق وتح محمد بن عبد الكريم الجزائري،ط 1،دار الخلدونية، الجزائر2012، ص ص 8-7.

23- الكلاباذي، المصدر السابق.ص..12

24- الطوسي،المصدر السابق، ص،.47

25ابن خلدون عبد الرحمان،المقدمة، ج1، دار العودة،بيروت، (د.س)، ص .370

26-ابن خلدون عبد الرحمان، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح محمد مطيع حافظ،دار الفكر، دمشق 1996، ص .71

-Meyrovitch(Eva de Vatray),Anthologie du soufisme, éd 27 Sindibad,Paris, P,24.

28-هو الامام محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابي حامد والمعروف بحجة الإسلام تعلم الكثير من العلوم النقلية والعقلية، وأستطاع التوفيق بين الفقه والتصوف حارب الباطنية والفرق الضالة والشطحات الصوفية. له مؤلفات عديدة في الفقه وعلم الكلام والاخلاق والجدل والفلسفة والتصوف من أهمها كتاب" احياء علوم الدين ".

29- ابو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تح فريد جير، ط2، مكتبة الشرقية، بيروت 1969، ص35.

-Arnaud (M), Étude Sur Le Soufisme Par Le Cheikh Abd-30 El-Hadi Ben Ridouane Rev. AF, V.32, 1888, P 341.

31- الغبريني أبو العباس أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر1981، ص 58.

32-هيمه عبد الحميد، الخطاب الصوفي في الشعر المغربي القديم، الاثر مجلة الآداب واللغات، ع5، جامعة ورقلة، مارس 2006، ص .212

33- البيلي محمد بركات، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والاندلس حتى القرن الخامس هجري، دار النهضة العربية، مصر1993، ص ص 98-.97

34-القاسمي عبد المنعم الحسني، أعلام التصوف بالجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 1427هـ، ص ص 27-.26

35- بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الاوسط ما بين القرنين السابع والتاسع هجري (13-15م) دراسة في التاريخ السسيو ثقافي، دار الغرب للنشر، الجزائر 2003 ص .174

36- البيلي محمد بركات، المرجع السابق، ص .97

37- القاسمي عبد المنعم الحسني، المرجع السابق، ص .29

38- المرجع نفسه، ص 30.

- Trumelet(C), L'Algérie Légendaire En Pèlerinage Çà & Là -Aux Tombeaux Des Principaux Thaumaturges De 1 L'islam (Tell Et Sahara).Librairie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire-Editeur, Alger, 1892, P454.

39- ينظر حول الترجمة: عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر،2005، ص ص 347- 350. الحفناوي، تعرف الخلف برجال السلف، مطلعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ص ص171- 172. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة طرابلس، ص ص 516 -518. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة، مصر 1349، ص254. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج6، ط15، دار العلم للملايين، مصر،2002، ص ص 314- 315. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة لمن ليس في الديباج، ج2، تح محمد مطيع، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، ص.151- 153. ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر 1908، ص ص 228-236. بوعزيز يحي، مدينة وهران عبر التاريخ، ط

خاصة. دار البصائر الجزائر.2009، ص 116. محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، ص ص 58- 65.

40- محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 58.

41-أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري الوهراني، عقيدة الإمام، بعناية نزار حمادي، الرابط http albordj.blogspot.com

42-يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 114.

43- أحمد بن ادريس البجائي كبير علماء بجاية، له تعليق في مختصر ابن الحاجب الفقهي، أخذ عنه ابن خلدون للمزيد ينظر: محمد بن عمر الهواري الوهراني، ص 09.

44- ابن مريم، البستان ...المصدر السابق، ص 228.

45- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ص 114.

46- محمد بن محمود مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349، ص، 245.

47- يحي بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، ص 115.

48- عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر...المرجع السابق، ص 348.

49- نفسه، ص 349.

50- مختار بوعناني، الإمام الهواري أبو عبد الله محمد بن عُمَر الهواري(843.750هـ/1439.1350م) وكتابه السهو، مداخلة ضمن فعاليات اليوم الدراسي بجامعة السانيا وهران يوم 20 فيفري 2005م، منشورة في الانترنت.

51- احمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد علد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، ص 516.

52- عبد المنعم القاسمي الحسني، المؤلفات الصوفية في الجزائر منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 206.

53- محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 59.

- Delpech (A), Résume du Bostane. R.A. volume,28, 54 1884, P156.

55- محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، صص 60-61.

56- محمد بن عمر الهواري، عقيدة الإمام، المصدر السابق، ص ص 15-16.

المصادر والمراجع

- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر 1908،

- ابن تيمية أحمد، فقه التصوف، تع الشيخ زهير شفيق الكبي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 1993.

- ابن تيمية أحمد، الصوفية والفقراء، تق محمد جميل غازي، دار المدني، مصر (د.س)..

- ابن خلدون عبد الرحمان. شفاء السائل وتهذيب المسائل. تح محمد مطيع حافظ، دار الفكر، دمشق.1996.

- ابو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تح فريد جير، ط2، مكتبة الشرقية بيروت 1969، ص35.

- أبي عبد الله محمد بن عم الهواري الوهراني، عقيدة الإمام، بعناية نزار حمادي، الرابط http albordj.blogspot.com

- أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة لمن ليس في الديباج ، ج2، تح محمد مطيع، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ، 2000.

-أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ،تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ،منشورات كلية الدعوة طرابلس.

- البيلي محمد بركات، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري، دار النهضة العربية، مصر 1993.

- التادلي أبي يعقوب يوسف، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية 1997.

- الجوزي أبي الفرج عبد الرحمان، تلبيس ابليس، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر. (د.س)، ص 163.

- الحفناوي، تعرف الخلف برجال السلف، مطلعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906،

- الحنفي عبد المنعم، الموسوعة الصوفية أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، ط1، دار الرشاد، القاهرة مصر1992.

- السهروردي شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد، عوارف المعارف، مجلد 5، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت1988.

- الطوسي ابي نصر السراج، اللمع، حققه عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديث بمصر، مكتبة المثني ببغداد 1960.

- الغبريني أبو العباس أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح رابح بونار. ش. و. ن. ت، الجزائر1981.

- القاسمي عبد المنعم الحسني، أعلام التصوف بالجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر 1427هـ.

- القشيري ابي القاسم عبد الكريم، الرسالة القشيرية، تح عبد الحليم محمود. محمود بن الشريف، ج02، دار المعارف. القاهرة. (د س)..

- الكلاباذي أبو بكر محمد بن اسحاق. التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبط وعلق عليه أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1993.

- المهدلي محمد عقيل بن علي، مدخل إلى التصوف الاسلامي، ط2، دار الحديث، القاهرة، 1988.

- إلهي ظهير احسان، التصوف المنشأ والمصادر، ط1، ادارة ترجمان السنة، باكستان 1986.

- الورثيلاني الحسين بن محمد، الكواكب العرفانية وشوارق الانسية في شرح الفاظ القدسية، تق وتح محمد بن عبد الكريم الجزائري. ط 1، دار الخلدونية، الجزائر.2012.

- بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الاوسط ما بين القرنين السابع والتاسع هجري (13-15م) دراسة في التاريخ السسيو ثقافي، دار الغرب للنشر، الجزائر، 2003.

- بدوي عبد الرحمان. تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني. ط2. وكالة المطبوعات. الكويت .1978.

- بوعزيز يحي، مدينة وهران عبر التاريخ، ط خاصة، دار البصائر الجزائر، 2009.

- تركي ابراهيم محمد، التصوف الاسلامي أصوله وتطوراته، ط1، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر،2007.

- تومي عبد القادر، التصوف والمجتمع قراءة في الابعاد الاجتماعية للتصوف، مجلة الخطاب الصوفي، ع 03، جامعة الجزائر، دار هومه، الجزائر2010.

- حريزي موسى إبراهيم، تحليل مضمون عينة من التعاريف ومفاهيم التصوف في الإسلام، مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، ع13، جامعة الجزائر2009.

- خميسي ساعد، أبحاث في الفلسفة الإسلامية، دار الهدى، الجزائر2002.

- عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غابة الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005.

- مبارك زكي، التصوف الاسلامي في الآداب والاخلاق، القاهرة،1938.

- محمد بن محمد مخلوف ،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة، مصر 1349.

- محمد بن محمود مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة،1349.

- مختار بوعناني، الإمام الهواري أبو عبد الله محمد بن عُمَر الهواري(843.750هـ/1439.1350م) وكتابه السهو، مداخلة ضمن فعاليات اليوم الدراسي بجامعة السانيا وهران يوم 20 فيفري 2005م، منشورة في الانترنت.

- هيمه عبد الحميد، الخطاب الصوفي في الشعر المغربي القديم، الاثر مجلة الآداب واللغات، ع5، جامعة ورقلة، مارس 2006.

- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج6، ط15، دار العلم للملايين، ص، 2002.

- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح المهدي البوعبدلي ، عالم المعرفة للنشر، الجزائر.

- دائرة المعارف الاسلامية تر مجموعة من الأساتذة، ج 16، ط1، مكتبة المدرسة، دار الكتاب اللبناني 1984.

بالفرنسية:

-Arnaud. (M), Étude Sur Le Soufisme Par Le Cheikh Abd-El-Hadi Ben Ridouane, Rev. AF. V.32 .1888.

- Delpech (A) ; Résume du Bostane. R.A. volume ,28. 1884.

-Annemarie (Shimail), le soufisme ou les dimensions mystiques de l'islam, traduit enfrançais Albert(van hoa), éd du carf, Arnaud. (M). Étude Sur Le Soufisme Par Le Cheikh - Paris.1996. Abd-El-Hadi Ben Ridouane.Rev. AF. V.31 .1887.

-Meyrovitch(Eva de Vatray), Anthologie du soufisme, éd Sindibad. Paris.

Trumelet(C). L'Algérie Légendaire En Pèlerinage Çà & Là Aux Tombeaux Des Principaux Thaumaturges De L'islam (Tell Et Sahara).Librairie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire-éditeur 4, Place Du Gouvernement, Alger, 1892.